التأمل ، وقد شارك فى هذا التقويم رواد كثيرون . وربما لا يذكر كثيرون الآن بعض ماقام به الأستاذ أمين الخولى لأنه لم ينشر كل دروسه فى الجامعة ، وربما يتضح أمامنا ماقام به الأستاذ العقاد ، ويكفى أن يرجع القارىء إلى كتاب الديوان وشعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى . ولكن العقاد عبر عن اتجاه عام بين (المجددين) فأحسن التعبير .

ونستطيع أن نتصور بعد هذه الكلمات المجملة ثورة العقاد على طريقة النظر البلاغية ، فقد كان يرى ما يراه كثير من زملائه أن مدار الشعر ليس هو تحسين الأشياء الخارجية المتميزة . مدار الشعر هو نمو الوجدان أو الشعور الحى ؛ فالمرآة تعكس على البصر ما يضىء عليها من الشعاع فتضاعف سطوعه ، والشعر يعكس على الوجدان ما يصفه فيزيد الموصوف وجوداً إن صح هذا التعبير . ويزيد الوجدان إحساسا بوجوده . ومغزى هذا أن الشعر يحول ماهو خارجى إلى حياة باطنية . ويجب أن نشير هنا إلى أن السيكولوجيا التقليدية نفسها كانت تهتم بالعقل ، وكان هذا فيما يقال خطأ قاتلاً . والثورة على السيكولوجيا التقليدية جزء من عالم حديث ، وقد أوضح الأستاذ أمين الخولى أن البلاغة كانت تقوم على تعقل الأشياء أكثر من قيامها على وجدانها . وكانت كلمة الوجدان نفسها أحياناً ذات طابع عام يشمل فى بعض أنحائه ما يسمونه باسم الأفكار الحية أو الأفكار المرتبطة بمعاناة الوجود الإنسانى المتميزة من تأمل ما كان يسمى باسم الماهيات(٤) .

وعلى هذا النحو سقطت نماذج كثيرة كانت موضع اهتمام أجيال متعاقبة ، وكان مدار البحث دائما هو الروح الإنسانى النامى الشاعر بالحرية . ومن أجل ذلك كان تعلم اللغة ورياضتها ، وعلى العكس من ذلك فقد لاحظ الأستاذ أمين الخولى أن اللغة كانت تكتسب لغايات أخرى من مثل التشريع أو خدمة أغراض علم الكلام أو إزكاء العصبية أو التجمل الواجب لكل من يتصدى لمنصب من مناصب الحكم والرياسة .

(٤) الواقع أن الأهمية التى ظفرت بها كلمة الوجدان كان مردها فى الغالب هو الاعتقاد السائد بين الرواد بأن النهضة الأدبية هى مطلع النهضات جميعاً ، مطلع نهضة البحث العلمى والإنشاء الأدبى والتفكير الاجتماعى والسياسى . كل ذلك يحتاج ـ فيما يقولون ـ إلى تربية الوجدان من أجل توفير الحوافز الكافية ، وتوضيح الغايات وتنمية العلاقة بين الفرد ومجتمعه . كان ارتباط مفهوم النهضة بالوجدان ملمحا أساسياً فى تفكير الرواد ، هذا الملمح اختفى بعض الاختفاء فى الأجيال التالية . وربما كان لذلك تأثير فى توجيه الأبحاث ، ربما ساعد على ما نسميه الروح الأكاديمية ، ولكنه جعل هذه العلمية الشديدة الخصوصية منفصلة عن الحاجات الروحية للمجتمع العربى . وهذه ملاحظة تستحق الانتباه لتؤيد أو تدحض .